

تفسير أبي السعود

وتارة في السماء وأخرى في الجنة فأخذه العجب فكان من امره ما كان وقال أكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم في أنهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى .

إنني جاعل في الأرض خليفة في حيز النصب علماً أنه مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدى إلى مفعولين فقليل أولهما خليفة وثانيهما الطرف المتقدم على ما هو مقتضى فإن مفعولى التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره أولهما الأول وثانيهما الثاني وهما مبتدأ وخبر والأصل في الأرض خليفة ثم قيل صار في الأرض خليفة ثم قيل صار في الأرض خليفة ثم مصير في الأرض خليفة فمعناه بعد اللتيا والتي إنني جاعل خليفة من الخلائف أو خليفة بعينه كائناً في الأرض فإن خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظروف ولا ريب في أن ذلك ليس مما يقتضيه المقام أصلاً وإنما الذي يقتضيه هو الإخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام فإذاً قوله تعالى خليفة مفعول ثانٍ والطرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق إلى ما آخر أو بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة وأما المفعول الأول فمحذوف تعويلاً على القرينة الدالة عليه كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً حذف فيه المفعول الأول وهو ضمير الأموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هؤلئرا لهم حيث حذف فيه المفعول الأول لدلالة يبخلون عليه أي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيراً لهم ولا ريب في تحقيق القرينة ههنا أما أن حمل على الحذف عند وقوع المحكى فهي واضحة لوقوعه في أثناء ذكره عليه السلام على ما سنفصله كأنه قيل إنني خالق بشراً من طين وجاعل في الأرض خليفة وأما أن حمل على أنه لم يحذف هناك بل قيل مثلاً وجاعل إياه خليفة في الأرض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليهم السلام قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى وإذا قال ربك للملائكة إنني خالق بشراً من طين إن قلت كيف صح أن يقول لهم بشراً وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه أن يكون قد قال لهم إنني خالق خلقاً من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاها اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما طنك بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز أن يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدى إلى مفعول واحد هو خليفة وحال الطرف في التعلق والتقديم كما مر فحينئذ لا يكون

ما سيأتي من كلام الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فإنه روى أنه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا وا^١ تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به اما آدم عليه السلام وبنوه وانما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما من يخلف او خلف فيعمه عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة إما الخلافة من جهته سبحانه في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا حاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فتختص